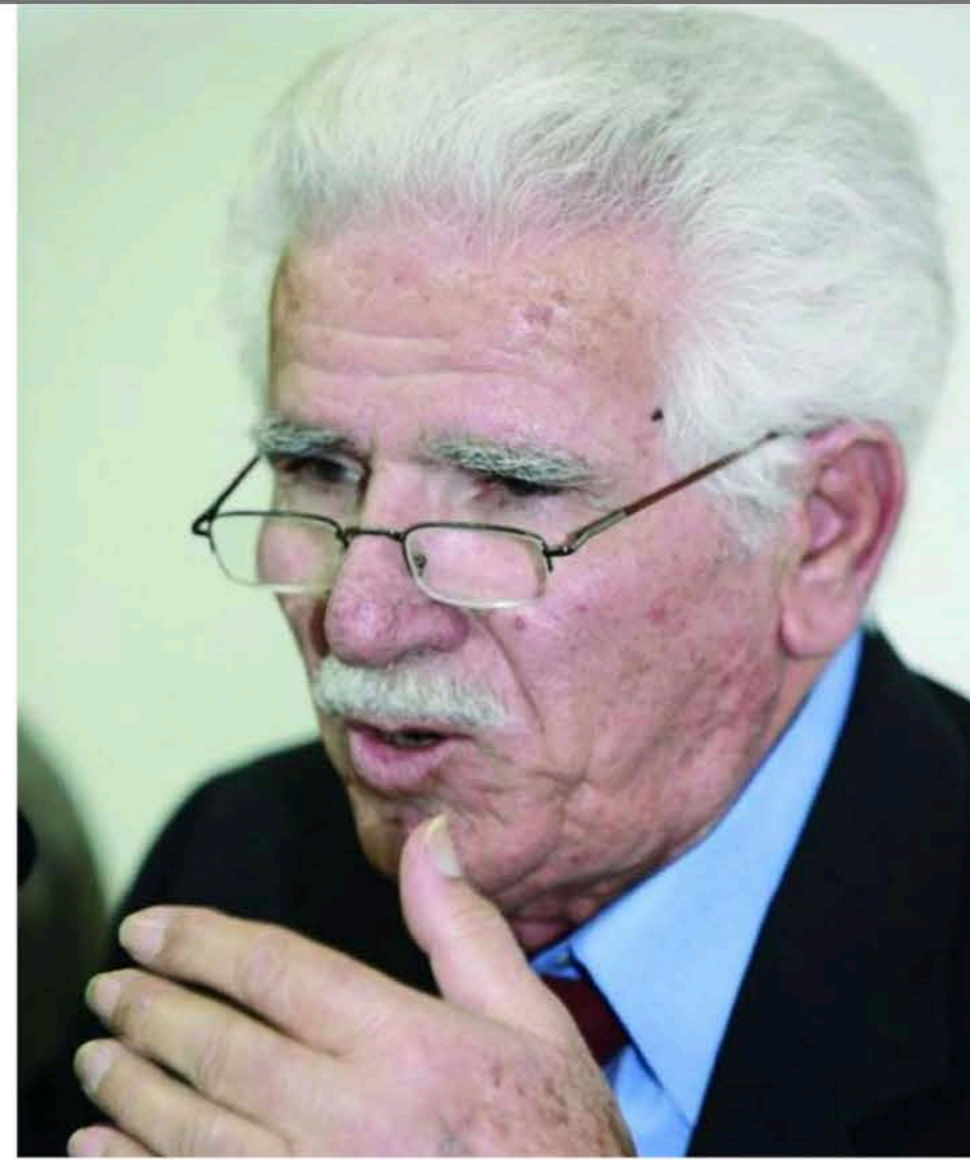


فن تشكيلي

سمير مراد



عبد الحميد بعلبكي: تجربة متفردة في المحترف التشكيلي اللبناني.

احتضنت غاليري اجيال في بيروت اخيرا معرضا فنيا استعاديا، جاء بمثابة تحية الى وجه مهم، انما منسي، في الحركة التشكيلية اللبنانية. ترافق المعرض مع صدور كتاب عن تجربة عبد الحميد بعلبكي ومسيرته الفنية المجدولة بوجع الناس وهمومهم وقضاياهم

عرض استعادي وكتاب يعيدان ابن جبل عامل الى الضوء
عبد الحميد بعلبكي... مؤرّخ الذاكرة المعاصرة

ينتمي عبد الحميد بعلبكي (1940 - 2013) الى جيل مظلوم. هذا ما يتفق عليه المؤرخون واخصاصيو الفن اللبناني. التشكيلي والمثقف والشاعر والمناضل بالريشة والموقف، بزغت موهبته عشية اندلاع الحرب اللبنانية، فلم يتح ان تأخذ ما تستحقه من الضوء والمجد والشهرة. عقبات وحواجز وظروف كثيرة اجهضت الاحتفاء بتجربة متفردة ومتميزة فعلا في تاريخ المحترف التشكيلي المحلي، فلم تزل حصتها من الدراسة والتمحص، خصوصا وانها ايضا تعكس حقبة مهمة من تاريخ لبنان.

انطلاقا من هذا الاقتناع، ارتأى صالح بركات (صاحب غاليري اجيال في الحمرا) واسرة الفنان الراحل، توجيه تحية اليه الشهر الماضي من خلال معرض مخصص لاعماله التي جُلبت من مجموعات خاصة متنوعة، الى جانب ما في حوزة اسرة التشكيلي من اعمال ولوحات. لم يكتف هؤلاء بذلك، بل اصدروا كتابا ضخما وفاخرا ومرجعيا ("عبد الحميد بعلبكي 1940-2013"،

نصوص الناقد والفنان والاكاديمي غريغوري بوشاكجيان، تصوير اغوب كانليديجان، تصميم بسام قهوجي) عن تجربة بعلبكي ضمت دراسات ومقالات تشرح اعماله، والمراحل التي مرت فيها هذه التجربة فكريا وسياسيا وفنيا، الى جانب احتواء الكتاب على لوحاته وجدارياته الاساسية.

عبد الحميد بعلبكي هو ابن جبل عامل بكل ما يعنيه ذلك من مخزون حضاري وثقافي وفكري مقاوم، متجذر منذ ايام السلطنة العثمانية. هذا ما تجسد ايضا في لوحته الشهيرة "سقوط الفارس" او "سقوط النصار" التي صورت ناصيف النصار الوائلي، احد زعماء شيعة جبل عامل في منتصف القرن الثامن عشر. هذا الزعيم الذي استشهد في ساحة المعركة ضد السلطنة العثمانية وجبروتها.

ضمن هذا المناخ الثقافي، يمكن فهم خلفية بعلبكي الآتي من عائلة فنية على امتداد اجيالها. فاحوه فوزي وابنه اسامة، وولدا اخيه امين وسعيد، كلهم رسامون. اما اولاده الاربعة الاخرون، فهم ايضا فنانون: لبنان قائد اوركسترا، سمية مغنية

والاساتذة اضافة جديدة ونوعية الى المحترف التشكيلي اللبناني. صحيح ان هذه اللوحة تعكس مخزونا ثقافيا ودينيا يحيل الى ذكرى استشهاد الحسين، الا ان بعلبكي حملها مضامين مختلفة تماما. اذ مثلت اللوحة الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة المحتلين. بعد جدل اثارته اللوحة بين اعضاء لجنة التحكيم التي ضمت عددا من ابرز الفنانين والشعراء امثال ايفيت اشقر وعارف الرئيس وسعيد عقل وحليم جرداق وجان خليفة ومنير نجم وامين الباشا ورشيد وهبه وناديا صيقل

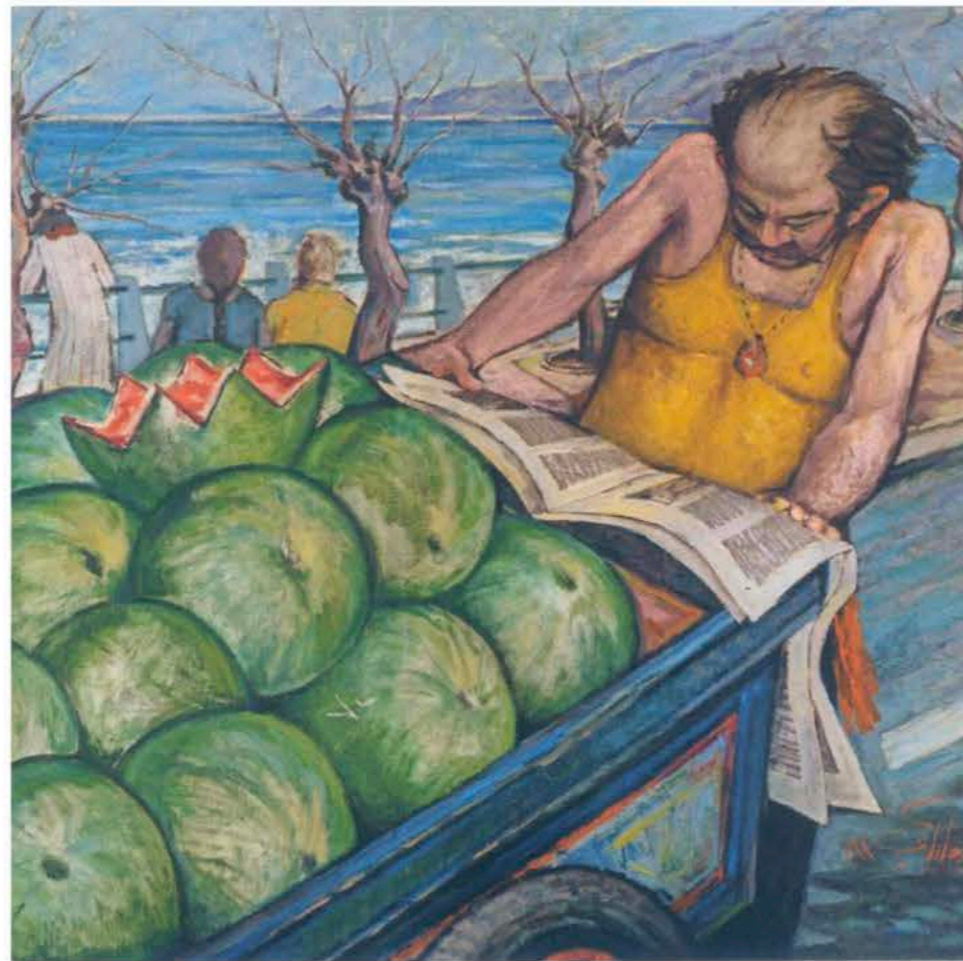
”

نقدي معارض شرس للحرب،
اتخذ موقفا مدينا لكل
الاطراف المشاركين فيها

“

تغص بالفقر والتوترات والضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ما سينعكس ايضا على لوحته التي ستمتلئ بالعمال وشخوص المدينة الهامشية التي لا يلحظها احد، وسيزداد راديكالية مع رفضه القاطع لانجاز لوحة بورجوازية الطابع. عام 1966، سيكون بعلبكي من اوائل المتخرجين في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية، في حقبة تغلي بالتيارات الفنية الطليعية الغربية. الا انه لطامارد انه لم يجد نفسه في تلك التيارات مثل الدادائية والتكعبية والتجريدية التي انحاز اليها معظم ابناء جيله. عانق بعلبكي الجداريات (فن الطبقات الشعبية) والرسم التشخيصي الواقعي، وحينما الرمزي، بوصفه فنا طالعا من رحم الشارع والناس، يتماهى مع قضاياهم وانشغالاتهم وهمومهم. فن يحمل رسالة اجتماعية وسياسية وفكرية.

لمشروع تخرجه، انجز بعلبكي جداريته "عاشوراء" (360 × 210 سنتم - 1971) التي اعتبرها النقاد



لوحة "بائع البطيخ".

وعادل الصغير ورفيق شرف، اتفقوا على اعطاء بعلبكي علامة 20/19، مع منحة دراسية لثلاث سنوات الى باريس حيث تخصص في الجداريات. واذا كانت لوحة "عاشوراء" تشكل "غرنیکا" الفن العاملي او الجنوبي، فان لوحته "حرب" او "جدارية الحرب" (1977 - 208 × 370) تمثل غرنیکا الحرب اللبنانية بلا منازع. تلك اللوحة انجزها بعلبكي عقب حرب السنين الدامية (1975 - 1976)، متأثرا باحداث الدمار التي شهد ليبيكاسو، اذ تجتمعان في ضخامتهما، وابداهما عنف الحرب. صورت جدارية بعلبكي مذبحة بعناصر ملحمية، مع تركيز على الضحية التي هي الناس البسطاء. صحيح انه كان يميل الى القوى اليسارية، الا انه كان نقديا معارضا شرسا للحرب، اتخذ موقفا مدينا كل الاطراف المشاركين فيها. هو الذي قال عن تلك المرحلة: "لم يشغلني البحث عن الربح والخاسر في تلك الحقبة من الحرب، بل كانت الضحية شغلي الشاغل، وهذا ما عبرت عنه في العناصر التي شكلت جدارية الحرب".

بالتوازي مع رسم الجداريات الملحمية، انجز بعلبكي عددا من اللوحات الاصغر حجما التي قاربت قضايا اجتماعية مثل المشاهد المدنية والعمال والمياومين، والطبقات الاجتماعية المختلفة، خصوصا المتواضعة والمشاهد اليومية العادية ضمن "مناخ شعبي بكل حرارته، حيث الافراد نماذج وشرائح اجتماعية"، وفق ما وصفته مرة الروائية اللبنانية علوية صبح.

مسيرة بعلبكي قامت على راديكالية فكرية. انحاز الى الطبقات الفقيرة، واستخدم الفن في معركته من اجل التوعية والتحرر والمساواة والعدالة الاجتماعية.

كيف يقوم صاحب غاليري اجيال، صالح بركات، التجربة؟ ما هي الدوافع التي جعلته يعيد الاعتبار الى عبد الحميد بعلبكي؟

■ اقمتم اخيرا معرضا عن الفنان عبد الحميد بعلبكي. اخبرنا عن هذا المعرض؟ كيف حصلت على اللوحات؟ لماذا اخترتم عبد الحميد بعلبكي؟
□ بعد وفاة عبد الحميد بعلبكي، اجتمعت مع عائلته وقررنا توجيه تحية الى هذا الفنان الذي انجب خمسة فنانين متميزين هم سمية ولبنان واسامة ومنذر وسلمان، وكان يجب انجاز



"جدارية عاشوراء".

□ صحيح. حين قررنا تنظيم معرض استعادي عنه، مع ما يستغرقه هذا الامر من جهد كبير، ارتائنا ان الاثر الدائم يكمن في اصدار كتاب. الكتاب لا يضم فقط لوحات عبد الحميد بعلبكي، بل انه كتاب توثيقي من الطراز الرفيع، يؤرّخ ليس فقط لتجربته، بل ايضا بصفته شاهدا على عصره مع كل التحولات التي شاهدها وعاشها. بالتالي يصبح هذا الكتاب مرجعا اساسيا عن هذه الحقبة، يقدر القارئ العودة اليه ليس فقط لدراسة عبد الحميد بعلبكي، بل الفنان والحقبة التي عاش فيها. هذا الكتاب يضيف الى المكتبة اللبنانية مرجعا ضروريا جدا، نحن في امس الحاجة الى تكبير المكتبة الفنية اللبنانية من حيث المراجع العلمية.

■ هل لدى غاليري اجيال مشاريع لاستعادة معلمي المحترف التشكيلي اللبناني؟
□ المعارض الاستعادية التي تلقي الضوء على كبار المعلمين، تشكل جزءا اساسيا من سياسة صالنتنا، خصوصا مع افتتاح صالة اخرى في كليمنصو تتمتع بمساحة وسعة كبيرتين. في الحقيقة، هذه الخطوة بدأت مع المعرض الاستعادي الذي اقمناه للفنان اللبناني جبران طرزي (1944 - 2010) الذي يعد معلما كبيرا جدا في التجريد الهندسي اللبناني. بعدها، اقمنا معرضا عن حقبة بيروت -1960 1975، اي سنوات ما قبل الحرب في تحية الى الساحة الفنية اللبنانية قبل الحرب. ثم اقمنا معرضا شبه استعادي للفنانة والنحاتة منى السعودي التي انقطعت عن العرض منذ عام 1980، ونستمر حاليا في مشاريعنا المماثلة. جزء اساسي من مشروعنا توثيق الساحة الفنية اللبنانية، وسنقيم معرضا هذا الشهر حول تطور فن البورتريه في الفن اللبناني منذ داود قرم (1852 - 1930) حتى اليوم، اضافة الى معرض استعادي اخر يتعلق بالفنان اللبناني محمد الرواس. هناك مشاريع ومعارض اخرى مماثلة قيد التحضير.



"حينا في الحمرا".



صاحب غاليري اجيال صالح بركات.

من انتقاله من منطقة الشياح الى الحمرا في بيروت، مروراً بمناطق اخرى. وقد شهد بنفسه تحول بيروت من مدينة مليئة بالاشجار والحدائق والمنازل الصغيرة وبيوت القرميد الى مدينة ذات عمارات شاهقة خالية من اي تنظيم مدني. اضافة الى ذلك، اهتم برسم الناس الذين لا يرسمهم احد، اي الخادمت، وبائع البطيخ الذي يقرأ، وكبار السن والناس الذين يعيشون على الهامش، لكنهم كانوا يمثلون بالنسبة اليه الحياة الشعبية الحقيقية. عادة لا تهم هذه المواضيع كثيرا الفنانين الذين يحبون رسم اشياء اقرب الى ذائقة البورجوازية والاغنياء.

■ تزامنا مع المعرض، اصدرتم كتابا فنيا انيقا وشاملا يختصر سيرته واعماله، تحت عنوان "عبد الحميد بعلبكي 1940-2013".

من انتقاله من منطقة الشياح الى الحمرا في بيروت، مروراً بمناطق اخرى. وقد شهد بنفسه تحول بيروت من مدينة مليئة بالاشجار والحدائق والمنازل الصغيرة وبيوت القرميد الى مدينة ذات عمارات شاهقة خالية من اي تنظيم مدني. اضافة الى ذلك، اهتم برسم الناس الذين لا يرسمهم احد، اي الخادمت، وبائع البطيخ الذي يقرأ، وكبار السن والناس الذين يعيشون على الهامش، لكنهم كانوا يمثلون بالنسبة اليه الحياة الشعبية الحقيقية. عادة لا تهم هذه المواضيع كثيرا الفنانين الذين يحبون رسم اشياء اقرب الى ذائقة البورجوازية والاغنياء.

اختار الجداريات من الطبقات الشعبية من اجل التوعية والتحرر والمساواة والعدالة الاجتماعية



"جدارية الحرب".

◀ كتاب يترافق مع المعرض يؤثّق مسيرته كي يبقى الاثر الى الابد، خصوصا وانه فنان يستحق ذلك فعلا.

■ ينتمي عبد الحميد بعلبكي الى الجيل الرابع في الحركة التشكيلية في لبنان. هلا اخبرتنا عن موقعه وخصوصيته واهميته واسلوب رسمه الواقعي؟
□ ينتمي عبد الحميد بعلبكي الى جيل شبّ في الستينات، ودخل معترك الساحة الفنية في اواسط السبعينات، مع بداية الحرب في لبنان. هو رفض التجريد الذي كان سائدا في تلك الحقبة، بل انحاز الى التشخيص، لانه كان فنانا يساريا ويحب رسم لوحات ذات مواضيع انسانية، خصوصا تلك التي تتعلق بالفقراء وعامة الناس، وحملت اعماله رسائل انسانية هادفة. اصف الى ذلك ان ميزة جيله انه حالما دخل الساحة الفنية، اشتعلت الحرب فاقفلت الصالات الفنية ابوابها وقطعت الطرقات وما الى ذلك من تداعيات الحرب، ما ظلم تجربته.

■ اشتهر بعلبكي بلوحته "عاشوراء"، ثم بجداريته الشهيرة عن الحرب. هلا اخبرتنا عن مصدر القوة في هاتين اللوحتين وسبب تميزهما؟
□ لا شك في ان لوحته "عاشوراء" تشكل احدي اللوحات الاولى في مسيرته الفنية، وتكمن اهميتها في رمزيتها. فهو لم يكن يريد تحرير رسالة دينية في هذه اللوحة، بل ارادها سياسية تتعلق بالخيانة والغدر اللذين تعرّضت لهما القضية الفلسطينية في ما يخص الموضوع العربي. اما في خصوص جدارية الحرب، فهي تمثل رسالة مهمة اراد الفنان تمريرها. صحيح انه كان يساري الانتماء وقريبا من الحركة الوطنية، واتخذ موقفا سياسيا واضحا في ما يخص الحرب الاهلية اللبنانية، الا انه حين رسم المتقاتلين في الحرب، اعتبر ان كلهم وحوش على قدم المساواة، بينما الشعب الفقير من الطرفين وحده الذي يدفع الثمن دوما.

■ اعمال عبد الحميد بعلبكي تعيدنا الى بيروت وناسها منذ اربعين عاما، خصوصا معالم في السبعينات والثمانينات التي لم تعد موجودة. هلا اخبرتنا اكثر عن انعكاس ذلك في لوحاته؟
□ لا شك في انه خلال الثمانينات، رسم بعلبكي بشكل اساسي البيئة والناس المحيطين به بدءا